المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد: 04، العدد: 02 (2020)، ص160-171

بريطانيا ورسم الحدود في شبه الجزيرة العربية: قراءة في أسباب ونتائج الخلاف الهاشمي السعودي على الحجاز (1917–1925)

Britain and border drawing in the arabian peninsula: reading of the causes and consequences of the saudi hashemite controversy over the Hijaz (1917-1925)

ميلود بلعالية
جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف (الجزائر)
m.belalia@univ-chlef.dz

معلومات المقال
تاريخ الارسال: 2020/10/02
تاريخ القبول: 2020/11/12
تاريخ النشر:2020/12/09
الكلمات المفتاحية:
✓ الحجاز
✓ نجد
✓ الشريف حسين
✓ عبد العزيز بن سعود
✓ بريطانيا

الملخص:
تتناول هذه الورقة البحثية رسم الحدود السياسية في شبه الجزيرة العربية، في الفترة (1917–1925)، وهي واحدة من الآثار السلبية للاستعمار البريطاني الذي انفرد برسم هذه الحدود بموجب معاهدات لتوزيع مناطق النفوذ في هذه المنطقة العربية. وتعد الحدود بين الحجاز ونجد أهم الأحداث التي سيطرت على ساحة المشرق العربي خلال الحرب العالمية، حيث لعبت بريطانيا دورا رئيسيا في الخلاف الهاشمي السعودي على الحجاز. ولذلك تتبعنا الجذور التاريخية لمشكلة الحدود بين الحجاز ونجد، بدءا من توسع عبد العزيز ابن سعود في واحة تربة على تخوم الحجاز عام 1917، وما ترتب عليها من اتساع شقة خلاف بين الشريف حسين وابن سعود حتى سقوط مملكة الحجاز عام 1925. واعتمدنا على الوثائق الأرشيفية لوزارة الخارجية الفرنسية وأرشيف ما وراء البحر في إكس أون بروفانس. وخلصنا إلى نتائج لعل أهمها أن المصالح الحيوية كانت وراء انفراد بريطانيا لرسم الحدود بين الإمارات والمحميات البريطانية في شبه الجزيرة العربية

Article info
Received :02/10/2020
Accepted:12/11/2020
Publication:09/12/2020
Key words:
✓ Hejaz
✓ Najd
✓ Sharif Hussain
✓ Abdulaziz bin Saud
✓ Britain

Abstract:
This research paper deals with drawing political borders in the arabian peninsula, in the period (1917-1925), and it is one of the negative effects of british colonialism, which wasunilaterally drawing these borders under treaties to distribute areas of influence in this arab region .The borders between hijaz and najd are the most important events that dominated the arab mashreq square during the world war, as Britain played a major role in the saudi hashemite dispute over hijaz. Therefore, we follow the historical roots of the problem of the borders between the hijaz and najd, starting with the expansion of Abdel Aziz Ibn Saud in the soil oasis on the edge of the hijaz in 1917, and the consequent widening of the dispute between Sharif Hussein and Ibn Saud until the fall of the Kingdom of hijaz in 1925. And we relied on the archive documents of the ministry french foreign and overseas archives

at Aix-en-Provence. We concluded the results, perhaps the most important of which was that the vital interests were behind Britain's unilateral demarcation of the borders between the émirates and the british protectorates in the arabian peninsula.

. مقدمة:

كانت شبه الجزيرة العربية عشية الحرب العالمية الأولى مقسمة إلى خمس إمارات: الحجاز، نجد، حائل، اليمن وعسير. وكان الخلاف الهاشمي السعودي على رسم حدود الحجاز، أهم مظاهر الخلاف بين الإمارات الخمسة، فالزعامة الهاشمية تمثلت في الشريف حسين بن علي، الذي كان يطمح إلى الملكية والخلافة. أما الزعامة السعودية فتمثلت في الأمير عبد العزيز بن سعود، الذي كان يطمح لاستعادة حكم آل سعود في نجد.

وازداد الخلاف الهاشمي السعودي نتيجة ازدواجية موقف بريطانيا في دعم ابن سعود في واحة تربة عام 1917، والتخلي عن الشريف حسين، مما أدى إلى زوال الحكم الهاشمي في الحجاز. ما طبيعة العلاقة بين الشريف حسين وابن سعود وموقفهما تجاه بريطانيا قبل سنة 1917؟ وما هو دور بريطانيا في الخلاف الهاشمي السعودي على الحدود بين الحجاز ونجد (1917-1921)؟ وما هي نتائج هذا الدور على رسم حدود شبه الجزيرة العربية بعد عام 1925؟

2. طبيعة العلاقة بين الشريف حسين وابن سعود وموقفهما تجاه بريطانيا قبل سنة 1917:

بدأت العلاقة بين أشراف الحجاز وآل سعود في أواخر القرن الثامن عشر، عند ظهور الحركة الإصلاحية في نجد وسط شبه الجزيرة العربية، وكان انتشارها على أساس اتفاق بين مؤسس الحركة الشيخ محمد عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود عام 1744، كانت نتيجته قيام الدولة السعودية الأولى. ولما تولت جميعة الاتحاد والترقي الحكم بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909، بادرت إلى تعيين الشريف حسين بن علي[1] أميرا على مكة، وبدأ الاحتكاك بينه وبين الأمير عبد العزيز بن سعود[2] عندما استعانت به قبيلة عتيبة أكبر القبائل في شبه الجزيرة العربية، وخاصة في نجد والحجاز تشكو ابن سعود من فرض الجباية على رعاياه في عشار القبيلة فكتب إلى ابن سعود يبلغه أنه يريد استعادة حقوق الأشراف على قبيلة عتيبة، ولكن ابن سعود رفض، فقام الشريف حسين بالتحرك في أواخر شهر جويلية 1910، وتمكن من أسر سعد أخ عبد العزيز بن سعود مستغلا تفرق القبائل التابعة لابن سعود، ومنافسة خصومه ابن الرشيد في حائل، وشريف مكة[3].

وافق ابن سعود في 5 سبتمبر على مطالب الشريف حسين، في رسالة اشترط فيها أن تكون المباحثات مع كبير شيوخ قبيلة عتيبة، وانتهت المباحثات بقبول ابن سعود دفع الفدية لإطلاق أخيه، وقبوله بسلطة الدولة العثمانية، ودفع الإتاوات لها، وظلت علاقة ابن سعود بالشريف حسين هادئة إلى أن اندلعت الحرب العالمية الأولى [4].

في الوقت الذي كانت الاستعدادات العسكرية على أشدها بين دول الوفاق الثلاثي والحلف المركزي لخوض الحرب العالمية الأولى، سعت بريطانيا لإقناع الدولة العثمانية بالحياد، ولكن الدولة العثمانية تذرعت حين قدم دبلوماسيوها تصريحا في لندن، جاء فيها: "**إننا على يقين أن انتصار الحلفاء في هذه الحرب سيؤدي حتما إلى تقسيم الدولة العثمانية، فتكون سورية من نصيب فرنسا، وأرمينيا من نصيب روسيا، والخليج العربي والبلدان الواقعة على سواحله من نصيب بريطانيا، كذلك نعتقد، من جهة ثانية، أن انتصار ألمانيا ربما يبقي على ولاياتنا فكان واجبنا الأول أن نلقي بثقلنا ضد الحلفاء وأن نقف إلى جانب ألمانيا**" [5]. فانقلب الموقف، وتحولت الصداقة البريطانية العثمانية إلى عداء دفع بريطانيا إلى البحث عن حليف داخل الدولة العثمانية، فانتهى إلى الاتفاق مع أمراء شبه الجزيرة العربية.

كان الأمير عبد الله بن الشريف حسين عشية اندلاع الحرب، قد اتصل بالمعتمد البريطاني في القاهرة كتشنر لمعرفة مدى استعداد بريطانيا لمساعدة الشريف حسين إذا انفصل عن الدولة العثمانية، وكان كتشنر يخطط لإيجاد منطقة نفوذ بريطانية تمتد من مصر حتى الهند عبر الخليج العربي، على تشمل هذه المنطقة شبه الجزيرة العربية. وبعد تعيين كتشنر وزير الحربية أوصى خليفته مكماهون بمواصلة المباحثات مع الشريف حسين. ويعزى اهتمام بريطانيا بالشريف حسين إلى أسباب منها: مكانة الشريف حسين في شبه الجزيرة العربية، واستعداده لضرب الحاميات العثمانية، ونسف خط سكة حديد الحجاز، وإبطال الدعوة العثمانية إلى الجهاد، وعدم تحمس عبد العزيز بن سعود لدعوة بريطانيا بالثورة على الدولة العثمانية [7].

في شهر نوفمبر 1914 أصبحت بريطانيا والدولة العثمانية في حالة حرب، فرأت الدولة العثمانية بفعل تأثير الدعاية القوية لألمانيا، أن تعلن فتوى الجهاد التي أصدرها شيخ الإسلام في اسطنبول، وكان الهدف من ذلك دفع المجندين المسلمين التمرد على جيوش الحلفاء الثلاث (بريطانيا، روسيا وفرنسا) ثم القتال إلى جانب الدولة العثمانية حليفة ألمانيا. وأوعزت بريطانيا إلى الشريف حسين بالتقارب من أمراء شبه الجزيرة العربية في نجد وعسير للنفير ضد الدولة العثمانية، ولكنه لم يتمكن إقناع ابن الرشيد حليف الدولة

العثمانية والمنافس لابن سعود، ولم يتجاوب معه الإمام يحيى ملك اليمن. أما أمير الكويت فقد عقد حلف عسكري مع بريطانيا [8].

بدأت بريطانيا سنة 1915 باتصالات سرية مع الشريف حسين للتمرد ضد الدولة العثمانية في المشرق العربي، والحقيقة أن السلطات البريطانية في القاهرة أخذت منذ بداية الحرب العالمية الأولى تجري مراسلات سرية مع أمير الحجاز لدعمه في الثورة على الدولة العثمانية، بالتزامن مع اتصالات بريطانية أخرى مع ابن سعود، لذلك فصلت بريطانيا بين اتفاقها مع الشريف حسين، وبين اتفاقها مع ابن سعود، حيث كلفت بريطانيا السير هنري مكماهون[9] في القاهرة بالمراسلات مع الشريف حسين، وتركت الاتصال بعبد العزيز ابن سعود في نفس العام للمعتمد البريطاني في الخليج العربي بيرسي كوكس[10]. وعقدت معاهدة القطيف في 2 ديسمبر، اعترفت فيها بريطانيا بابن سعود حاكما على نجد، وتعهدت بتقديم المعونة له، كما قامت بريطانيا بمراقبة الشؤون الخارجية لإمارة نجد، فضلا عن تعهد ابن سعود بعدم اعتدائه على محميات بريطانيا في الخليج وهي: الكويت وقطر والبحرين. ولكن الشريف حسين وابن سعود كانا يجهلان اتفاق الآخر مع بريطانيا، وما يجري بين بريطانيا وفرنسا حول اتفاقية سايكس بيكو عام 1916، لاقتسام منطقة المشرق العربي، أما عبد العزيز ابن سعود فلم يتمرد ضد الدولة العثمانية كما أرادت بريطانيا [11].

لعل موقف الشريف حسين بإعلانه الثورة على الدولة العثمانية من المدينة المنورة في 5 جوان 1916 أدى إلى تغيير جذري للموقف في شبه الجزيرة العربية، إذ أصبح لبريطانيا حليفا تعتمد عليه في محاربة الدولة العثمانية، وحماية مصالحها في سيناء، وحرمان ألمانيا من قواعد غواصاتها في البحر الأحمر. واستكمل الشريف حسين استعداداته ببيعة أهل مكة ملكا على البلاد العربية، ولكن الحلفاء لم يعترفوا به سوى ملكا على الحجاز في مطلع عام 1917، ودخل فيصل بن الحسين ميناء العقبة في 6 جويلية، وكان ذلك مرحلة حاسمة في الحرب، أرسل على أثرها الجنرال إدموند اللنبي قائد الجيش البريطاني في مصر، حملة على فلسطين، فألف فيصل الفيلق العربي في العقبة، ووزعت منشورات الشريف حسين تدعو الضباط والجنود العرب للفرار من الجيش العثماني. فاحتلت بريطانيا فلسطين ودخل اللنبي القدس في 9 أكتوبر، ودمشق في 30 سبتمبر. وفي 2 نوفمبر صدر عن وزير الخارجية البريطانية بلفور وعد أضاف تناقضا جديدا على ما التزمت به بريطانيا للشريف حسين، ونص على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وتنكرت لوعدها بتحقيق فكرة الدولة العربية، وبدأ التساؤل حول مصير فلسطين. وأدت هذه المستجدات إلى تخوف ابن سعود من طموح الشريف حسين لتوحيد المشرق العربي تحت زعامته بمساعدة بريطانيا [12].

وهكذا انتهجت بريطانيا سياسة متعددة الأبعاد للسيطرة على شبه الجزيرة العربية، فعقدت الاتفاقيات مع فرنسا لتحييدها، وأعلنت وعد بلفور لليهود، وأبرمت معاهدات الحماية مع شيوخ وأمراء المنطقة العربية.

3. موقف بريطانيا من الخلاف الهاشمي السعودي على حدود الحجاز (1917-1921)

كان على عبد العزيز بن سعود اتخاذ موقف عشية الحرب العالمية الأولى، بين الحياد والتدخل، فآثر التحالف مع بريطانيا دون التدخل في العمليات العسكرية، فيحافظ على أتباعه ولا يتورط في صراع دولي، وخاصة أن خصمه ابن الرشيد حليف الدولة العثمانية في جواره. وسعى ابن سعود إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية لسكان نجد، وخاصة البدو لفرض النظام عليهم وتوطينهم في الواحات فبنى لهم القرى التي حملت اسم الهجر، واستهدف ابن سعود من هذا التوطين أمرين اثنين: أولهما استقرار البدو وضمان ولائهم له، وثانيهما تجنيدهم في جيش نظامي حمل اسم الاخوان. وتمكن من تعبئتهم للدفاع على الدولة السعودية الثالثة، ثم التوسع في شبه الجزيرة العربية. وتحالف مع بريطانيا بموجب معاهدة القطيف اعترفت باستقلال نجد وملحقاتها، والتزام ابن سعود الحياد مقابل السلاح البريطاني، وخمسة آلاف جنيه سنويا، على أن تحظى بريطانيا مقابل ذلك بعدم بيع أو رهن أو هبة من أراضي ابن سعود، إلا بموافقة بريطانية [13]. وهكذا وضع بلاده تحت الحماية البريطانية.

اتسمت السياسة البريطانية تجاه الشريف حسين وابن سعود سنة 1917، بالازدواجية في تحديد السياسة البريطانية تجاه شبه الجزيرة العربية، وانعكست هذه الازدواجية على علاقات بريطانيا الحجاز ونجد. وتعزى ازدواجية السياسة البريطانية إلى التباين بين حكومة الهند البريطانية، من جهة، التي رأت أن مصلحة بريطانيا تكمن في ضمان تأمين طريق الهند عبر الخليج العربي، وأن السيطرة على شبه الجزيرة العربية يجب أن تتفق مع مصالح بريطانيا في الهند، وأن سياستها سوف تؤدي إلى حماية مصالح بريطانيا والانفراد بإقامة جسر بين الشرق والغرب، وأنه من الضروري التقرب من ابن سعود، ليكون أداة لتنفيذ أهداف بريطانيا، ومن جهة ثانية، المكتب العربي في القاهرة التابع لوزارة الخارجية البريطانية الذي رأى في الشريف حسين أداة تنفيذ لمخططات بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى. وكان ينظر إلى المصلحة البريطانية من شرق البحر الأبيض المتوسط عن طريق تأييد الشريف حسين بصفته أداة لتحقيق الأهداف البريطانية، ولعب توماس لورانس [14] كبير المؤيدين للشريف حسين في المنطقة دورا خطيرا في تعاون العرب مع بريطانيا لمحاربة العثمانيين، ومساعدتها أثناء الحرب العالمية الأولى بالفيلق العربي الذي قاده فيصل بن الحسين لدعم الجيش البريطاني في احتلال فلسطين، وحماية قناة السويس وطريق الهند [15].

بريطانيا ورسم الحدود في شبه الجزيرة العربية

ساعدت ازدواجية السياسة البريطانية تجاه شبه الجزيرة العربية خلال الحرب العالمية الأولى على بروز الخلاف بين الشريف حسين وابن سعود، وخاصة عندما أعلن الشريف الحسين من جانب واحد نفسه ملكا على المشرق العربي في 4 نوفمبر 1916، ورد فعل ابن سعود برسم الحدود بين نجد والحجاز. وكان الشريف الحسين يتمتع بمركز يسمح له بالاستفادة من المساعدة البريطانية، فكان يتحكم في منطقة تقع وسط الخطوط العثمانية قي شبه الجزيرة العربية، في حين لم يتمكن الإدريسي حاكم عسير والإمام يحيى ملك اليمن من شل حركة الجيش العثماني، وفي الوقت الذي كان فيه ابن سعود بعيدا عن مواقع الجيش العثماني، كان الشريف حسين مستعدا لتهديد الجيش العثماني في الحجاز، وقطع خطوط سكة الحجاز، مستغلا نفوذه في العالم الإسلامي أثناء موسم الحج. ووجدت بريطانيا في الخلاف بين الشريف حسين والأمير عبد العزيز بن سعود فرصة لضمان ولائهما لتحقيق مكاسب اقتصادية وعسكرية في شبه الجزيرة العربية، لذلك عملت على تقوية أسباب الخلاف بين الطرفين لخدمة مصالحها في القضاء على النفوذ العثماني في المشرق العربي، فاعتقد كل من الشريف حسين وابن سعود بأنه يتمتع بتأييد بريطانيا في مواجهة الآخر [16].

تجدد الخلاف بين الشريف حسين وابن سعود سنة 1917، وكان سبب الخلاف حول تبعية واحة تربة الواقعة شرق الطائف على تخوم الحجاز ونجد. ولكن الشريف حسين رأى أن هذه الواحة تابعة للحجاز فاعتبر سكانها من رعاياه، وكان أمير الواحة خالد بن لؤي من أشراف الحجاز. أما ابن سعود فقد برر تبعية هذه الواحة على أساس ولاء سكانها له منذ قيام الدولة السعودية الأولى. وأرسل الشريف حسين ثلاث حملات لاسترجاع واحة تربة بعد أن تحصن بها ابن عمه خالد بن لؤي الذي اتصل بابن سعود، ولما عين الشريف حسين قاضيا للواحة، طرده أميرها، فأمر الشريف حسين بعزله. ولكن خالد بن لؤي هزم الحملات التي أرسلها الشريف حسين، وانضمت القبائل المجاورة إليه، فأرسل إلى ابن سعود يطلب مساعدته. وتعزز موقف ابن سعود في أكتوبر 1918. واقتضت المستجدات تدخل الوساطة البريطانية بين الطرفين، إلا أنها فشلت بسبب رفض الشريف حسين الاعتراف بالهزيمة، وانحياز لجنة الوساطة لابن سعود [17].

لم يضطر ابن سعود للمشاركة في الحرب العالمية الأولى كما اضطر الشريف حسين، بل ادخر امكانياته ليحقق بها طموحاته في شبه الجزيرة العربية. وعند نهاية الحرب في 11 نوفمبر 1918، لم يبد الحلفاء أطماعا في الدولة السعودية. واعتبروا شبه الجزيرة العربية من الأراضي التي حررت نفسها فنالت استقلالها مباشرة. ولكنها بقيت مقسمة إلى خمس كيانات مستقلة هي: مملكة الحجاز، نجد وملحقاتها،

مملكة اليمن، إمارة ابن الرشيد وإمارة عسير. ولم تكن العلاقات بين هذه الكيانات علاقات حسن الجوار، فبرز الخلاف حول رسم الحدود بين ابن سعود وابن الرشيد وبين الإمام يحيى والإدريسي، وبين الشريف حسين وابن سعود [18].

اعتقد الشريف حسين أنه خرج من الثورة على الدولة العثمانية منتصرا فمقابل النصر الذي أحرزه، أثقلت كاهله متاعب جديدة بسبب تذمر المسلمين المنادين بالخلافة أكثر من اهتمامهم بالقومية العربية. لذلك اعتبروا الشريف حسين مسؤولا عن تفكك الخلافة. ولم يعترف سكان نجد بلقب ملك العرب الذي حمله الشريف حسين لتحقيق طموحه أن يكون خليفة دون بيعة المسلمين له أما الحلفاء فلم يمنحوه فترة هدوء واتفاقهم على تجزئة المشرق العربي، ومنحهم وعد بلفور لليهود. وزاد هذه المتاعب بروز الخطر السعودي [19].

وكانت الهزيمة الثانية في معركة واحة تربة قرب الطائف شرقي الحجاز في 19 ماي 1919 ضربة للحكم الهاشمي في الحجاز، حيث فتحت الطريق أمام ابن سعود طريق مكة والمدينة، ولكن بريطانيا أنقذت موقف الشريف حسين، وأشارت عليه أن يعقد صلحا مع ابن سعود، غير أن الشريف حسين فضل عقد معاهدات مع ابن الرشيد ومع ملك اليمن الإمام يحيى اعتقادا منه بأن ذلك يدعم موقفه، فأغاض بتقربه من ملك اليمن والإدريسي في عسير. وكان رد فعل ابن سعود تجهيز حملة على ابن الرشيد حليف الشريف حسين، وضم إمارته إلى نجد ووصلت حدوده إلى العراق. كما أثرت الهزيمة سلبا على الشريف حسين، الأمر الذي شجع ابن سعود لبسط نفوذه على الحجاز. حاول الشريف حسين الاستنجاد بالسلطات البريطانية خشية تقدم ابن سعود إلى مكة، وكانت السلطات البريطانية في القاهرة برئاسة لورانس تؤيد الشريف حسين في شبه الجزيرة العربية، في حين كانت السلطات البريطانية في الهند برئاسة فيلبي [20] ترى أن ابن سعود هو الأداة لتحقيق المصالح البريطانية في شبه الجزيرة العربية [21].

4. نتائج دور بريطانيا في رسم حدود شبه الجزيرة العربية (1920- 1925)

وجدت بريطانيا في هزيمة الشريف حسين فرصة تتنصل بها من التزاماتها تجاهه، فعرضت عليه معاهدة تحالف للدفاع عن الحجاز وتقديم المعونة مقابل اعتراف الشريف حسين بقرارات مؤتمر سان ريمو سنة 1920، وهذا يعني اعترافه بضمان نفوذ بريطانيا في فلسطين والعراق، وكان غرض بريطانيا التخلص من العهود التي قطعتها له في مراسلات مكماهون–الحسين. غير أن الشريف حسين لم يرد على اقتراح ممثل بريطانيا لورانس. فكان ذلك بداية التحول في العلاقات بين ملك الحجاز وحليفته بريطانيا، وكانت المعونة البريطانية المقدرة بمليونين وأربعمائة ألف جنيه سنويا قد توقفت عنه، وزاد في التباعد بروز القضية

الفلسطينية، وتغاضي بريطانيا عن ضم ابن سعود إمارة خصمه ابن الرشيد وهو طموح يمثل خطرا وجوديا على مملكة الحجاز [22].

استغل ابن سعود الصعوبات التي تعترض الشريف حسين داخل شبه الجزيرة العربية وتنكر بريطانيا له، وتعزى هذه الصعوبات إلى خمسة أسباب: أولها أن عدم تصديقه على معاهدة فرساي في 28 جوان 1919، حرمه عضوية عصبة الأمم، فلم تناصره عندما أحاطت به الهزيمة، وثانيها تظلم الحجاج من سوء المعاملة، وثالثها شروطه على ابن سعود عام 1923 أن يأتي الحجاج من نجد عن طريق البحر ليأمن خطر الهجوم عليه من نجد، ورابعها قبوله بالخلافة عندما ألغيت عام 1924 بعد من قبل مصطفى كمال أتاتورك وإعلانه قيام الجمهورية التركية وعاصمتها أنقرة، وخامسها تشويه صورته أمام رعاياه من قبل بريطانيا[23].

أعلن الملك حسين في 15 مارس 1924 نفسه خليفة من عمان عاصمة إمارة شرقي الأردن أثناء زيارة لابنه عبد الله، وفي أواخر شهر أوت استغل ابن سعود هذا الإعلان من جانب واحد لشن حملة ضد مملكة الحجاز، وبعد مقاومة محدودة بقيادة الأمير علي بن الحسين [24] سقطت الطائف في 6 سبتمبر. ولم تستجب بريطانيا لطلب الملك حسين كما فعلت بعد معركة واحة تربة، فتذرعت بأن الخلاف محلي ولا مجال لتدخلها فيه، إلا إذا اتفق الطرفان على تحكيمها، وغايتها من وراء ذلك التنصل لأن ابن سعود لم يكن مستعدا لقبول التحكيم. وزاد فشل مؤتمر الكويت في نفس العام في تسوية رسم الحدود بين الحجاز والعراق وشرقي الأردن ونجد قد أقنع ابن سعود بأن جيرانه الهاشميين أصبحوا يحيطون بإمارته [25].

لعل السقوط السريع لمدينة الطائف في أواخر شهر أوت 1924 عجل بانتشار الخوف من خطر عدم الاستقرار في أنحاء شبه الجزيرة العربية، وفي الوقت نفسه استنجد الملك حسين بالسلطات البريطانية، إلا أنها اعتذرت عن مساعدته متذرعة بعدم تدخلها في شؤون هذه المنطقة، ولكنها ابدت استعدادها للتدخل بوساطة قنصلها بين الطرفين، واكتفت بإرسال برقية إلى ابن سعود تحذره من التعرض لحياة الحجاج الهنود أو عرقلة دخولهم إلى مكة، ولم تشر البرقية البريطانية إلى كيفية التعامل مع طموح ملك الحجاز، أما ابن سعود فقد رأى في تلك البرقية أن بريطانيا قد تخلت عن الملك حسين[26].

وهكذا أعطت بريطانيا العذر لابن سعود لينهي الحكم الهاشمي في الحجاز، وإذا كانت بريطانيا قد اعتمدت على تحالف ابن سعود، فلأنها كانت تعارض طموح الشريف حسين، والتقليل من تمسكه بالوعود

التي قطعها له السير مكماهون أثناء المراسلات معه عشية إعلانه الثورة العربية ضد الدولة العثمانية. لذلك شجعت بريطانيا ابن سعود وأمدته بالمال والسلاح للقضاء على الحكم الهاشمي في الحجاز.

كان دخول ابن سعود الطائف عام 1924 بداية لضم الحجاز إلى الحكم السعودي، حيث تنازل الشريف حسين عن الحكم لابنه البكر الأمير علي، بناء على طلب علماء وأعيان الحجاز، ولكن الأمير علي اعتذر في البداية عن قبول البيعة فأرسل أهل مكة إلى الملك حسين برقية جاء فيها: "**بما أن الشعب الحجازي بأجمعه واقع الآن في الفوضى العامة بعد فناء الجيش المدافع، وعجز الحكومة على المحافظة على الأرواح والأموال، وبما أن الحجاز بلاد مقدسة يعني أمره عموم المسلمين، لذلك فإن الأمة قررت نهائيا تنازل الشريف حسين، وتنصيب ابنه الأمير علي ملكا على الحجاز فقط، مقيدا بالدستور، شريطة أن ينزل على رأي المسلمين وأهل الحجاز في تحقيق آمالهم ورغائبهم في إصلاح شؤون البلاد المادية والمعنوية، وأن يكون للبلاد مجلسان: أحدهما نيابي وطني لإدارة الأمور الداخلية والخارجية، والآخر شوري يتكون من أعضاء منتخبين من المسلمين على اختلاف بلادهم، مهمته الإرشاد والمساعدة على إصلاح الشؤون الداخلية والخارجية، والله الموفق لما فيه الصلاح**" [27].

بعد مراسلات بين الهيئة الحجازية التي تولت قضية تنازل الشريف حسين عن الملك، تردد الشريف حسين ثم أبدى استعداده للتنازل، ولكنه اشترط أن يكون التنازل لواحد من ابنائه باستثناء الأمير علي، غير أن الهيئة جاء ردها: "**الحالة حرجة ولا وقت للمخابرات، فإن كنتم لا تتنازلوا للأمير علي فنسترحم بلسان الإنسانية أن تتنازلوا جلالتكم حتى تتمكن الأمة من تشكيل حكومة مؤقتة حقنا لدماء الأبرياء من المسلمين، ويمكنها المخابرة مع من يرون طريقا لنجاتهم، وليعينوا من شاؤا، وإذا تأخرتم في إجابة هذا الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم، والرجاء نزولكم على رأي الأمة**"[28].

في نهاية الأمر قوبلت الرسائل بموافقة الملك حسين على طلب أهالي الحجاز بالتنازل للأمير علي، وغادر إلى جدة، ثم إلى العقبة في 8 جوان 1924. ولكن الملك علي بن الحسين عجز عن وقف تقدم ابن سعود نحو مكة، فدخلها في 13 أكتوبر، فوقع الملك علي بن الحسين والسلطان عبد العزيز بن سعود شروط التسليم، في 22 ديسمبر، وعين خالد بن لؤي أميرا على مكة، وانكفأ الملك الهاشمي الجديد في جدة، وأعلنت الدول الإسلامية والأجنبية وقوفها على الحياد في الخلاف الهاشمي السعودي على رسم حدود الحجاز، وركزت على سلامة رعاياها. وعلى الرغم من محاولات إجراء محادثات بين الطرفين، إلا أنها انتهت دون التوصل إلى اتفاق، حيث أصر ابن سعود على شرط تنازل الملك علي بن الحسين، عن

التبعية لوالده، واشترط جلاء الهاشميين عن الحجاز [29]. وأخيرا استسلم وابعدته بريطانيا إلى العراق عند أخيه الملك فيصل [30].

لما وصل الوفد الذي أرسلته لجنة الخلافة الهندية إلى الحجاز، في شهر جانفي 1925، أعلن وقوفه مع ابن سعود، ومساعدته لإنشاء دولة لا يكون فيها أي دور للشريف حسين وأبنائه، أما الشريف حسين الذي استقر في العقبة، فقد أخذ يتعاون مع ابنه عبد الله أمير شرقي الأردن في تجنيد من أبناء الإمارة ومن فلسطين المحتلة وإرسالهم إلى الحجاز لدعم ابنه الملك علي، إلا أن ابن سعود هدد باحتلال معان والعقبة، إذا استمر الشريف حسين وابنه عبد الله في إثارة الخلاف على الحدود في الحجاز، وردت بريطانيا باقتطاع معان والعقبة وضمها لإمارة شرقي الأردن، وبالمقابل قامت بريطانيا بنفي حليفها السابق الشريف حسين إلى جزيرة قبرص وهي مستعمرة بريطانية الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط[31].

كان ابن سعود في حاجة إلى توطيد دولته الجديدة ولذلك كان عليه أن يتفاهم مع جيرانه في شبه الجزيرة العربية، لبناء علاقات جديدة، ومن جانبها عملت بريطانيا على تسوية رسم الحدود بين ابن سعود والهاشميين ففي الشمال عقد مع العراق اتفاقية بحرة في 1 نوفمبر 1925، وتقابل مع الملك فيصل على ظهر بارجة بريطانية في ميناء الخليج العربي ورسمت الحدود مع شرقي الأردن بموجب اتفاقية حداء في 2 نوفمبر [32].

في مطلع عام 1926 نودي بابن سعود ملكا على الحجاز ونجد وملحقاتها. ووقعت معه بريطانيا معاهدة جدة في 20 ماي 1927، اعترفت بموجبها رسميا به ملكا على الحجاز ونجد وملحقاتها، كما اعترفت باستقلال مملكته وبذلك تخلص ابن سعود من التبعة لبريطانيا بمقتضى معاهدة القطيف سنة 1925. أما الملك عبد العزيز بن سعود فقد استغل طلب الإدريسي مساعدة ابن سعود في حسم خلافه على رسم الحدود مع الإمام يحيى ملك اليمن مقابل الانضمام إلى المملكة العربية السعودية التي أعلنت في 23 سبتمبر 1930[33].

5. خاتمة:

إجابة على إشكالية الورقة البحثية نستنتج:

أن بريطانيا احتوت الشريف حسين وعبد العزيز بن سعود منذ عام 1915 في الحرب ضد الدولة العثمانية، واستغلت طموح الطرفين للحكم.

أن موقف بريطانيا تجاه الصراع الهاشمي السعودي على الحجاز عام 1917 اتسم بالازدواجية المكتب العربي في القاهرة المؤيد للشريف حسين، وحكومة الهند البريطانية المؤيدة لابن سعود.

بدأت موازين القوى عام 1921 تتحول لصالح ابن سعود، نتيجة دعم بريطانيا له، وتخليها التدريجي عن الشريف حسين.

أن سيطرة عبد العزيز بن سعود على الحجاز عام 1925 فكان بدعم بريطانيا التي تخلت عن الشريف حسين.

ظلت بريطانيا تلعب دور الحكم في رسم الحدود كلما نشب خلاف بين أمراء شبه الجزيرة العربية.

الهوامش:

(1) الشريف حسين بن علي (1854-1931)، آخر الأشراف الهاشميين من حكم مكة، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة 1918اشتد الخلاف بينه وبين ابن سعود. وانتقل الشريف حسين من مكة إلى جدة سنة 1924، ثم وصل إلى العقبة آخر حدود الحجاز في الشمال، وكانت تحت حكم ابنه عبد الله. ثم أخبره ابنه بأن بريطانيا ترى أن بقاءه فيها قد يحمل ابن سعود على مهاجمتها. وعليه الرحيل عنها. ووصلت إلى مينائها مدرعة بريطانية، ركبها إلى جزيرة قبرص سنة 1925، وأقام في منفاه ست سنين حتى نقل رفاته إلى القدس ودفن فيها. للمزيد ينظر: www.aljazera.net

(2) عبد العزيز بن سعود (1876-1953)، مؤسس الدولة السعودية الثالثة عام 1902، عقد في عام 1915 مع بريطانيا معاهدة القطيف التي تقضي على حماية الأراضي التي يسيطر عليها ابن سعود مقابل طرد ابن رشيد الموالي للدولة العثمانية. وفي عام 1919 انتصر على الشريف حسين في معركة واحة تربة، وفي عام 1922 سيطر على الأراضي التي كانت تحت حكم الشريف الحسين حتى دخل الحجاز في حوزته سنة 1925. للمزيد ينظر: www.aljazera.net

(3) سليمان الموسى، **الحركة العربية في سير المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة**، ط1، دار النهار للنشر، بيروت، 1970، ص 169.

(4) محمد عبد الله ماضي، **النهضات العربية الحديثة، في جزيرة العرب**، ج1، ط2، دار إحياء الكتب العربية، الرياض، 1952، ص 128.

(5) مديحة درويش، **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين**، ط1، (د.ن)، جدة، 1980، ص 84.

(6) السير هنري مكماهون (1862-1949)، دبلوماسي وضابط بريطاني بالجيش الهندي، والمندوب السامي في مصر (1915-1917)، اشتهر بمراسلات حسين مكماهون. للمزيد ينظر: www.aljazera.net

(7) بيرسي كوكس (1864-1937)، دبلوماسي وضابط بريطاني، كان مستشارا لسلطان عمان عام 1902، ساهم في منح الاستقلال الذاتي للكويت بموجب الإتفاق الابريطاني العثماني عام 1913. ثم الحاكم العام للعراق سنة 1922. للمزيد ينظر: www.marefa.org

(8) محمد عدنان مراد، بريطانيا والعرب، **تاريخ الاستعمار البريطاني في الوطن العربي**، ط1، دار طلاس للنشر، دمشق، 1989، ص 294.

(9) توماس لورانس (1888-1935)، سياسي بريطاني، عرف بلورانس العرب، درس التاريخ والآثار في جامعة أوكسفورد، وانضم إلى بعثة الآثار في بلاد ما بين النهرين عام 1911، وبقي بعد البلاد العربية يتعلم لهجاتها المحلية حتى عام 1914، ثم التحق بجهاز المخابرات التابع للجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى في مصر، ثم انضم عام 1916 إلى الثورة العربية ضد الدولة العثمانية بقيادة فيصل بن الحسين، ولعب دورا مهما فيها، وعمل على نسف الخط الحديدي الواصل بين المدينة المنورة ودمشق، وقاد الفيلق العربي إلى العقبة، ودخل دمشق عام 1918، ورافق الأمير فيصل إلى مؤتمر السلام عام 1919، ولعب دورا في تنفيذ سياسة بريطانيا، وبعد فشل مؤتمر السلام رجع إلى بلاده بعد أن نكث الحلفاء بوعودهم للعرب، ونشر مذكراته أعمدة الحكم السبعة. للمزيد ينظر:www.marefa.org

(10) قدري قلعجي، **الخليج العربي**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1965، ص 392.

(11) فتحي العفيفي، **مشكلة الحدود السياسية لشبه الجزيرة العربية**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988، ص 311.

(12) حافظ وهبة، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ص 188.

(13) جون فيلبي (1885–1960)، مستشرق بريطاني، خدم في الهند 1908–1915، ثم العراق، ودخل الرياض عام 1917 مع وفد بريطاني، وتعرف على عبد العزيز بن سعود، وسافر إلى جدة سنة 1919، وعاد بعد سنة إلى العراق، وأصبح مستشارا في حكومة العراق عام 1920، ثم في شرق الأردن 1921–1924، واستقال لخلاف مع الأمير عبد الله، وعاد إلى بلاده، ثم عاد عام 1926 إلى السعودية، عمل بالتجارة الحرة في جدة. للمزيد ينظر: www.marefa.org

(14) جوزيف كوستنر، **العربية السعودية (1916–1936)، من القبيلة إلى الملكية**، تر/ شاكر إبراهيم، (د.ن)، القاهرة، 1996، ص 14.

(15) نجدة فتحي صفوة، **الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية**، مج4، ط1، (د.ن)، (د.م)، 1916، ص 368–369.

(17) يونان لبيب رزق، **موقف بريطانيا من الوحدة العربية، 1919–1945، دراسة وثائقية**، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص 13.

(18) علي بن الحسين (1879–1935)، أكبر أبناء الشريف حسين وولي عهده. وعندما أبحر الحسين إلى العقبة في أكتوبر 1924، أصبح ملكا على الحجاز، للمزيد ينظر: www.marefa.org

(19) مصطفى النحاس، **آل سعود في الجزيرة العربية من القبيلة إلى الدولة**، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1986، ص 15.

(20) لبيب عبد الساتر، **التاريخ المعاصر**، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1986، ص 77.

(21) أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مج 7، دار العلم للملايين، بيروت، 1975، ص 193.

(22) عبد اللطيف الصباغ، **بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص 45.

(23) جورج أنطونيوس، **يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية**، ط5، تر/ ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، (د.ن)، بيروت، 1978، ص 456.

(24) لورانس هنري، **اللعبة الكبرى "المشرق العربي والأطماع الدولية"**، تر/ عبد الحميد الأربد، ط2، دار الجماهرية، بنغازي، د.ت.

(25) صالح نجيب، **تاريخ العرب السياسي 1856–1956**، ط1، دار اقرأ، بيروت، 1985، ص 184.

(26) حجر جمال محمود، **القوى الكبرى والشرق الأوسط (في القرنين التاسع عشر والعشرين)**، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 143.

(27) 81f 990-997 Monde Arabe: 990 carton 1-2 : Evenements au Hedjaz, documents : notes et rapports provenent du ministére des affaires étrangères 1916-1917.

(28) محافظة محمد، **ترسيم الحدود الدولية لإمارة شرقي الأردن مع نجد والحجاز (1921–1946)**، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الهاشمية، الأردن، ص 46.

(29) Laurens Henri, Le grand jeu: **Orient Arabe et rivalités internationales**, éd Armand Colin, Paris 1991.

(30) 81f 991 Monde Arabe : carton 3-4 : Evenements au Hedjaz, documents : notes et rapports provenent du ministére des affaires étrangères 1918-1930.

(31) Ministère des affaires étrangères, **Archives diplomatiques, série Hedjaz 1916-1926**, carton 230.

(32) Ministère des affaires étrangères, Archives diplomatiques, série Grande Bretagne 1915-1927, carton 240.

(33) فتحي العفيفي، **مشكلة الحدود السياسية لشبه الجزيرة العربية**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988، ص 357.